شواهد الأمر البلاغية في "فتح الباري" للعسقلاني

Eloquence Evidences in "Fatah Al-Bari" by Al-Asqalani

Dr. Syed Yasir Ali
Lecturer Arabic Department
National University of Modern Languages – Islamabad
E-mail: syali@numl.edu.pk ORCID: https://orcid.org/0000-0002-2801-4020

Muhammad Ayaz
Lecturer Arabic Department
Swat University – Swat
E-mail: swatkhan8999@gmail.com ORCID: https://orcid.org/0000-0002-9461-3283

Abstract

The book "Fath al-Bari Sharh Sahih al-Bukhari" is one of the most valuable source of Hadith Sciences. At the same time it is a unique book for the sciences of the Arabic language as well. As it comprises almost aspects of Arabic Language & Literature i.e. Linguistics, Syntax, Morphology, Rhetoric, parables and different stylistic approaches which make this book a very notable and remarkable in the field of Arabic Language & Literature.

This book has gained the attention of readers due to the goals and meanings explained in this book. This book has revealed the brilliance and intellectual understanding of Al-asqalani about the Arabic rhetoric.

The rhetorical notes Al-Asqalani mentioned were not in the form of rules or laws linking them with the evidence, as much as they were a method used by Al-Asqalani to clarify the meaning of the hadith.

Al-Asqalani mentioned most of the terms and rhetorical arts without indicating their definition or limitation, except for some of them, such as rhetoric, news, simile, and turning around.

This book explains how Al-asqalani had analyzed the texts of noble hadiths, the explanations of hadiths, and impact of hadiths on the human soul in terms of emotions, imaginations, instincts and inclinations. This research article will try to study the rhetorical evidence of the matter in this research by relying on what he said in his commentary on the noble hadiths of the Prophet (PBUH).

Keywords*: Arabic Language & Literature i.e. Linguistics, Syntax, Morphology, Rhetoric, parables.*

المقدمة

إن كتاب "فتح الباري شرح صحيح البخاري" يعد كنزاً من الكنوز العلمية الثمينة؛ إذ أنه كتاب جامع شامل لعلوم اللغة العربية، فهو فضلاً عن شرحه للأحاديث الشريفة فيه الفقه، واللغة، والنحو، والصرف، والبلاغة، وفيه من العظات والأمثال والأساليب التي استخدمها العرب في التعبير عن أغراضهم ومعانيهم ما يجعل هذا الكتاب جديراً بأن يحظى بالاهتمام والدراسة، لا سيما أن البلاغة أخذت حيزاً واسعاً فيه، لذا آثرت الكشف عن عبقرية العسقلاني في فهمه للبلاغة العربية وكيفية تحليله البلاغي للنصوص الحديثية الشريفة، وبيان أسرارها وكيفية تعاملها مع النفس البشرية في عواطفها وأخيلتها وغرائزها ونزعاتها، في كتاب يعد من أنفس وأعظم كتب شرح الحديث ذلك هو كتاب فتح الباري.

لم يذكر العسقلاني الفنون أو الأساليب البلاغية ضمن فصول أو أبواب خاصة بكل فن، بل نجدها متناثرة في ثنايا الشروحات، إذ أنه يسجل ما يراه من ملاحظات بلاغية من خلال شرحه للحديث الشريف.

لم تكن الملاحظات البلاغية التي ذكرها العسقلاني على شكل قواعد أو قوانين يربط بينها وبين الشاهد بقدر ما كانت وسيلة استخدمها العسقلاني في توضيح معنى الحديث.

لقد ذكر العسقلاني أغلب المصطلحات والفنون البلاغية من دون إشارة إلى تعريفها أو حدها، عدا بعضها، كالبلاغة، والخبر، والتشبيه، والالتفات.

أولى الإمام العسقلاني أهمية كبيرة لعلم المعاني، فقد أشار إلى مصطلح (علم المعاني) ولكنه لم يعرف به، وتناول أساليب هذا العلم من أسلوب (الخبر، الإنشاء، التقديم والتأخير، الذكر والحذف، الإيجاز، والإطناب، القصر، التعريف والتنكير، الفصل والوصل.

كما أولى الإمام العسقلاني أهمية كبيرة للأساليب الإنشائية الطلبية ومعانيها الثانية، وكان أسلوبا الأمر والنهي ومعانيهما المجازية أكثر الأساليب الإنشائية وروداً في كتابه "فتح الباري".

أسلوب الإنشاء عند العسقلاني:

لم نجد تعريفا للإنشاء الطلبي أو غير الطلبي في الكتاب إلا أن موضوعاتهما مبثوثة في صفحاته، وقد أولى عناية كبيرة للأساليب الطلبية، وبناء على ذلك فإننا سنتناول الأساليب الطلبية وغير

الطلبية التي وردت في كتاب "فتح الباري" على وفق التقسيم الذي سارت عليه الكتب البلاغية مبتدئين بالأساليب الطلبية وما تتضمنه من معان ثانية يخرج إليها الأسلوب الطلبي.[1]

وسنحاول دراسة شواهد الأمر البلاغية في هذا البحث بالاعتماد على ما ذكره من أقوال في أثناء تعليقه على الأحاديث النبوية الشريفة.

أسلوب الأمر:

الأمر في اللغة والاصطلاح: الأمر نقيض النهي[2] وهو "عند العرب ما إذا لم يفعله المأمور به سمي عاصيا".[3]

ويقول عنه السكاكي (626هـ) أنه: "استعمال – صيغة الأمر – على سبيل الاستعلاء".[4]

أوكما قال العلوي (749هـ) هو: "صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء".[5]

وللأمر أربع صيغ عند العلماء، هي: "فعل الأمر، المضارع المقرون بلام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر".[6]

أسلوب الأمر عند الإمام العسقلاني:

لم يعرّف الإمام العسقلاني أسلوب الأمر كما فعل البلاغيون، لكنه يشير إلى صيغه وإلى معانيه المجازية من خلال تعليقه على الأحاديث الشريفة، ففي ترجمته لباب "ما نهى النبي –صلى الله عليه وسلم– على التحريم، إلا ما تعرف إباحته وكذلك أمره، نحو قوله حين أحلوا: (أصيبوا من النساء...) [7] إذ يقول العسقلاني معلقا على قوله: "حين أحلوا": أي (في حجة الوداع، لما أمرهم ففسخوا الحج إلى العمرة وتحللوا من العمرة، والمراد بالأمر صيغة افعل والنهي لا تفعل).[8]

وهنا نجد أن العسقلاني قد أشار إلى الصيغة التي يأتي بها أسلوب الأمر وهي "افعل".

وإن المعنى الذي يحمله الأمر هو عكس المعنى الذي يحمله النهي، وهو يقترب في تعريفه هذا من تعريف الجرجاني (471هـ) إذ يقول بأن الأمر هو: "قول القائل لمن دونه افعل".[9]

ويشير العسقلاني إلى الصيغ الأخرى للأمر، وهي الفعل المضارع المقرون بلام الأمر، وصيغة المصدر النائب عن فعل الأمر، وصيغة اسم الفعل في تعليقه على قوله تعالى: {وَمَا أَمْرُنَا إِلا

وَاحِدَةٌ}[10] إذ يقول: "والأمر التقدم بالشيء، سواء كان ذلك بقول: افعل، أو لتفعل، أو بلفظ الخبر".[11]

صيغ الأمر عند الإمام العسقلاني:

لقد ذكر الإمام العسقلاني صيغ الأمر الأربعة التي ذكرها النحويون والبلاغيون في أثناء تعليقه على الأحاديث النبوية الشريفة، وهذه الصيغ هي:

1- صيغة اِفْعَلْ: ويسمي النحاة هذه الصيغة بـ "فعل الأمر"[12] وكذلك فعل العسقلاني إذ يقول معلقا على الحديث الشريف الذي ذكره النبي -ﷺ- يوم بدر إذ قال: (إذا أكثبوكم[13] فارموهم، واستبقوا نبلكم).[14] إذ يقول: (قوله: "فارموهم واستبقوا نبلكم" فعل أمر بالاستبقاء، أي: طلب الإبقاء).[15]

فقد أمر النبي -ﷺ- الصحابة بالإبقاء على بعض النبل التي معهم، حتى يقترب الأعداء منهم فتصيبهم النبال، وفي هذا الحديث خرج الأمر لغرض مجازي هو الإرشاد إلى المصلحة العامة، والتحذير من استخدام جميع النبل إذا كان الأعداء على بعدٍ من المقاتلين وكانت النبل لا تصلهم، وبذلك تكون صيغة الأمر قد خرجت لتفيد "معنى الاستمرار والثبات"[16] إذ أنه -ﷺ- طلب من المخاطبين أن يستمروا على هذه الحالة حتى يتحقق النصر لهم.

2- صيغة الفعل المضارع المقرون بلام الأمر: ومنه ما ورد في قوله -ﷺ-: (... من رابه شيءٌ في صلاته فليسبح؛ فإنه إذا سبح التفت إليه، وإنما التصفيق للنساء). [17] إذ يقول العسقلاني معلقا على الحديث الشريف: (ووقع في روايته حماد بن زيد بصيغة الأمر، ولفظه: "إذا نابكم أمر فليسبح الرجال وليصفح"[18] النساء).[19]

نلاحظ أن الأمر في النص جاء من خلال صيغة "ليفعل"، والواقعة من مضمون الشرط، والقصد من فعل الأمر في الحديث إبلاغ المتلقي بما يفعله في حال حصول نائبة أو مصيبة، فجاء بالأمر على سبيل الإرشاد في قوله: "فليسبح"، فطلب من الرجال أن يسبحوا؛ لما في التسبيح من جلب للطمأنينة، وتطيب القلوب، وبعث الراحة في النفس، ونلاحظ أن السبب الذي جعله -ﷺ- يستخدم صيغة "ليفعل" في هذا الحديث "وقوع أغلبها ضمن سياقات شرطية، والمضامين الشرطية تكون كالقوانين التي لا ترتبط بوقت محدد".[20]

وبما أنه -ﷺ- لم يرد تحديد الأمر بزمن معين أو فئة معينة ناسب ذلك استخدام هذه الصيغة.

ونلاحظ أن العسقلاني قد ذكر أن للحديث رواية أخرى استخدم فيها صيغة الأمر، وهي في قوله: "فليسبح الرجال وليصفح النساء"، فورد فعلا الأمر "فليسبح، وليصفح" بصيغة فعل الأمر: "ليفعل"، وفيه طلب النبي -ﷺ- من الرجال أن يسبحوا في صلاتهم إذا طرأ أمر معين أريد تنبيه الإمام عليه، كأن ينسى الإمام ركعة أو سجدة أو يخطئ في قراءته وما شابه ذلك، وطلب في الوقت ذاته من النساء أن يصفحن عن الأمر، أي: أن يعرضن عن الأمر، ويتركن الأمر للرجال.

3- أسماء الأفعال: وهي ألفاظ تقوم مقام الأفعال في الدلالة على معناها وفي عملها،[21] وقد وردت عدة أحاديث من هذه الصيغ أشار إليها العسقلاني من خلال ذكر اللفظة التي ورد فيها الأمر، مع الإشارة إلى أنها جاءت في سياق الحديث بمعنى الأمر، والقصد منها غرض معين، ومن ذلك ما أشار إليه في تعليقه على الحديث:

"ايه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك".[22]

إذ يقول العسقلاني في الحديث: (أمر بتوقير -رسول الله ﷺ- مطلوب لذاته تحمد الزيادة فيه، فكأن قوله: "ايه" استزادة منه في طلب توقيره وتعظيم جانبه) [23] وقال أيضا: (إنه أمر خارج للدعاء)،[24] فنلاحظ أن قوله: "ايه" اسم فعل أمر، وقد استخدمه النبي ﷺ في هذا الموضع ليدل على "الحث والإغراء"،[25] فالنبي -ﷺ- أراد أن يحث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بالاستزادة من كلامه؛ لما فيه من توقيرٍ لرسول الله -ﷺ-.

ومنه قوله -ﷺ-: (حي على أهل الوضوء، البركة من الله)،[26] إذ يقول العسقلاني معلقا على قوله "حي على": (اسم فعل للأمر بالإسراع).[27]

فنلاحظ أن الأمر في الحديث من أسماء الأفعال، وهو مركب من "حي" و"على"، ومعناهما: "الحث والاستعجال، فجمع بينهما"[28] وسمي بهما؛ "للمبالغة في إفادة"[29] معنى الإسراع إلى الوضوء والصلاة، وبما أن النبي -ﷺ- أراد أن يحث الناس على الامتثال لأمره على جهة السرعة جاء بصيغة "أسماء الأفعال" التي تفيد الأمر؛ لأنها "تستعمل للكشف عن موقف معين، والإفصاح عنه".[30]

4- صيغة المصدر النائب عن فعل الأمر: لقد أشار العسقلاني إلى هذه الصيغة عند شرحه للحديث الشريف: (لن ينجي أحدا منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا،

إلا أن يتغمدني الله برحمته، سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا). [31] إذ يقول العسقلاني إن قوله: "القصد القصد" (بالنصب على الإغراء، أي: الزموا الطريق الوسط المعتدل). [32]

إن النبي ﷺ استخدم هذه الصيغة؛ لأنه أراد أن يؤكد للمسلمين التزام الطريق المعتدل، وبما أن هذه الصيغة تستخدم "لضرب من الاختصار والمبالغة والتأكيد"[33] ناسب ذلك استخدامها للغرض المقصود في هذا النص.

المعاني المجازية للأمر عند الإمام العسقلاني:

وقد أشار الإمام العسقلاني إلى خروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى المعاني الثانية، إذ يقول: "وقد أنهى بعض الأصوليين صيغة الأمر إلى سبعة عشر وجها: ... للإيجاب والندب والإباحة والإرشاد، وغير ذلك". [34]

هذا وإن الإمام العسقلاني قد ذكر بأن الأمر لا يشترط فيه أن يكون صادرا من الأعلى إلى الأدنى، وذلك من خلال تعليقه على الحديث الشريف: (إن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- خرج من عند النبي -ﷺ- في وجعه الذي توفي فيه ... فأخذ بيده العباس، فقال: ألا تراه؟ .. فاذهب بنا إلى رسول الله -ﷺ- فنسأله فيمن يكون الأمر؟ فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا...). [35] إذ يقول العسقلاني معلقا على الحديث: (فيه دلالة على أن الأمر لا يشترط فيه العلو ولا الاستعلاء). [36]

وهنا يشير الإمام العسقلاني إلى أن الأمر قد يخرج لغرض مجازي؛ لأنه لا يشترط فيه الاستعلاء، ومن المعلوم أن الاستعلاء "هو الذي يجعل الوجوب حقيقة في معنى الأمر؛ لأن المتبادر إلى الذهن لدى سماع صيغة الامر هو الاستعلاء"[37] وأن صيغة الأمر "حقيقة في الوجوب، وأن استعمالها لمعانٍ أخرى إنما هو من المجاز". [38]

ولقد ذكر الإمام العسقلاني العديد من المعاني التي يخرج إليها أسلوب الأمر في حديث رسول الله -ﷺ-، فقد ذكر ثلاثة عشر غرضا مجازيا، وهي:

1- **الدعاء:**

ويكون الأمر خارج للدعاء "إذا استعملت في طلب الأمر على سبيل التضرع". [39]

ومن ذلك دعاء النبي -ﷺ- لإحدى الصحابيات عندما (أتى بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال: ائتوني بأم خالد، فأخذ الخميصة بيده، فألبسها، وقال: ابلي واخلقي).[40] إذ يقول العسقلاني معلقا على قوله: ("ابلي" "أمرٌ بالابلاء، وكذا قوله: "اخلقي" أمرٌ بالإخلاق، وهما بمعنى، والعرب تطلق ذلك وتريد الدعاء بطول البقاء للمخاطب بذلك).[41]

وبذلك يكون الأمر في الحديث الشريف في قوله: "ابلي واخلقي" خارجٌ لغرض الدعاء؛ إذ قصد النبي -ﷺ- بقوله هذا أن يطول الله في عمر أم خالد حتى يبلى الثوب ويخلق، وبذلك يكون المراد بفعل الأمر هنا التوجه إلى الله والتضرع له بالدعاء؛ لأن صيغة الأمر "قد صدرت من الأدنى إلى الأعلى فنزله".[42]

ومنه ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- إذ يقول: كان النبي -ﷺ- يدعو (... اللهم انج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسني يوسف).[43]

إذ يقول العسقلاني معلقا على الحديث: (إن قوله: "اللهم اشدد وطأتك على مضر" المراد: اشدد عليهم البأس والعقوبة والأخذ الشديد).[44]

نلاحظ أن الامر الذي ورد في الحديث جاء بصيغة: "افعل" في قوله: "انج " و"اشدد"، وقد خرج الأمر لغرض الدعاء، ففي صيغة الأمر الأولى: "اللهم انج المستضعفين" دعاء للمسلمين بالنجاة، أما الثانية: "اللهم اشدد وطأتك" ففيها الدعاء على المشركين بالهلاك والبأس والقحط والجوع، فمعنى قوله: "اشدد وطأتك" "أصبهم بالشدائد، واقرعهم بالقوارع".[45]

2- الإرشاد والتوجيه:

الإرشاد يدل على استقامة الطريق،[46] بما أن النبي -ﷺ- كان المعلم والمرشد والناصح لجميع البشر؛ فإن الكثير من الأحاديث التي ذكرها تحمل في طياتها معاني الإرشاد والنصح؛ وإن كثيرا من الأوامر التي أمرنا بها في أحاديثه -ﷺ- كانت تحمل هذا الغرض، وقد أشار الإمام العسقلاني إلى خروج هذه الأوامر إلى معنى النصح والإرشاد في شرحه لتلك الأحاديث، ومن ذلك ما ذكره في التعليق على الحديث الشريف: (إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليضعه، فإن في إحدى جناحيه داء وفي الآخر شفاء).[47] إذ يقول العسقلاني إن في قوله: "فليغمسه كله" (أمر إرشاد لمقابلة الداء بالدواء).[48]

نلاحظ أن النص يبدأ بـ (إذا) الشرطية، وأراد النبي -ﷺ- بذلك أن يجلب انتباه المتلقي لما يريد أن يقوله وأن يكون "متيقن من حصول الفعل"[49] الذي بعدها، وهو وقوع الذباب في الإناء،

فإذا تحقق الفعل فعند ذلك يجب على المخاطب أن يغمس الذبابة كلها في الإناء، ونلاحظ أن جواب الشرط جاء من خلال فعل الأمر في قوله: "فليغمسه"، وأن هذا الأمر قد أفاد معنى آخر، هو الإرشاد كما ذكر العسقلاني، إرشاد المخاطب إلى أن الذباب يحمل في إحدى جناحيه داء، وفي الجناح الآخر الدواء، فإذا سقط الذباب في الإناء فربما يكون الجناح الذي يحمل الداء هو الذي لامس داخل الإناء، وأما الأمر الآخر فلا، لذا يجب علينا أن نغمسه كله حتى لا نصاب بالداء، وبذلك يكون التعبير بهذا الأمر يدل على حرص النبي -ﷺ- على سلامة المسلمين من الأذى، وإرشادهم إلى ما فيه مصلحتهم، ولم يرد من هذا الأمر "الإلزام، إنما أراد النصيحة الخالصة".[50]

3- الحث والترغيب:

الحث يعني: الحض على الشيء[51] والترغيب فيه. ومنه الحديث الشريف: (اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف).[52] إذ يقول العسقلاني: (وهو من الكلام النفيس الجامع الموجز، المشتمل على ضروب البلاغة، مع الوجازة وعذوبة اللفظ، فإنه أفاد الحض على الجهاد والإخبار بالثواب عليه، والحض على مقاربة العدو، واستعمال السيوف).[53]

وهنا نلاحظ أن فعل الأمر "اعلموا" قد خرج لغرض مجازي، هو الترغيب، فقد أراد النبي -ﷺ- أن يرغب المسلمين بالجهاد في سبيل الله، لذا جاء بصيغة الأمر: "اعلموا"؛ ليثبت من خلالها الخبر الذي يحث فيه على الجهاد ويرغب المسلمين به، فقد جعل الجنة تحت ظلال السيوف.

وأكد ذلك من خلال أداة التوكيد "إن" التي دخلت على الجملة الخبرية، التي "تلقى على سمع من هو على درجة من التردد في تقبل الخبر"[54]؛ لكي يكون على يقين من ذلك الأمر.

إذاً فالمراد بالحديث أن الجنة تحصل بالجهاد، والظلال: قصد بها الظل الذي يحصل من تداني الخصمين حين يشتد القتال، إذ يصير كل منهما تحت ظل سيف الآخر.

4- التهديد:

التهديد يكون بمعنى الوعد والوعيد، ولقد أشار العسقلاني إلى صيغة الأمر الخارجة لغرض التهديد في شرحه للحديث الشريف: (... إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن

يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صادق، فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها). [55]

إذ يقول العسقلاني: (إن الأمر فيه للتهديد، لا لحقيقة التخيير) [56] إذ نلاحظ أن فعلا الأمر "فلياخذها أو ليتركها" حملا في طياتهما تحذيرا شديدا ضمن سياق الحديث، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لا يخير المتلقي بين الأمرين، بل إنه يتهدده بأن مصيره سيكون في النار إن أخذ حقا ليس له به شيء، وأن عليه أن يترك الحق لصاحبه إن كان يعرف أنه على باطل، "وقد وردت هذه المعاني ضمن سياق الشرط "من قضيت"، محتضنا للصورة التشبيهية المكتنزة بالمعاني الدلالية: "هي قطعة من النار"، مما يجعل مساحة الوعيد شاملة زمانا ومكانا وشخوصا من أجل أن تكون دلالة الروع أقوى وأشد". [57]

5- الزجر والردع:

الزجر: كلمة تدل على الانتهار [58] أي: الكف عن فعل ذلك الشيء، والابتعاد عنه.

لقد ورد فعل الأمر لغرض الزجر والردع في الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رأى رجلا يسوق بدنة فقال: (اركبها، فقال إنها بدنة. قال: اركبها ويلك...). [59] إذ يقول العسقلاني معلقا على قوله "اركبها": (الأمر هنا إن قلنا إنه للإرشاد، ولكنه استحق الذم بتوقفه على امتثال الأمر). [60]

بالتأمل في النص نلاحظ أن فعل الأمر "اركبها" قد كرر في الحديث أكثر من مرة، وأن قصد النبي -صلى الله عليه وسلم- في الأمر الأول: إرشاد الرجل بأن يركب دابته، وحين امتنع الرجل عن تنفيذ أمره -صلى الله عليه وسلم- بادر بتكرار الأمر بقوله: "اركبها ويلك" مستخدما لفظة العذاب "ويلك" مع فعل الأمر؛ ليبين أن الأمر قد خرج من الإرشاد إلى المبالغة في الزجر، وذلك لعدم امتثال الرجل لأمره -صلى الله عليه وسلم- وبذلك يكون الرجل قد استحق الذم؛ لعدم تنفيذه الأمر كما قال العسقلاني، وذلك ما دلت عليه كلمة: "ويلك" التي "تفيد الذم". [61]

6- التشريف والتكريم:

فالتشريف كلمة تدل على العلو والارتفاع [62] من قدر الشيء، وإن أسلوب الأمر قد يخرج لغرض التشريف والتكريم كما ورد في الحديث الشريف: (... لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد وجبت لكم الجنة...) [63] إذ يقول العسقلاني معلقا على فعل

الأمر في قوله: "اعملوا ما شئتم" (إن صيغة الأمر في قوله: "اعملوا" للتشريف والتكريم)[64] وهو تكريم أهل بدر وتشريفهم "بالجنة" وغفران الذنوب.

ومنه أيضا الحديث الشريف الذي ذكره النبي -ﷺ- عندما جاء سعد بن معاذ راكبا حمارا إلى رسول الله -ﷺ- ، فلما دنا قال رسول الله -ﷺ-: (قوموا إلى سيدكم).[65]

إن الأمر في هذا الحديث قد ورد للتشريف والتكريم؛ إذ يقول العسقلاني: (قيل: قوموا وامشوا إليه؛ تلقيا وإكراما) [66] فقد أمر النبي -ﷺ- أصحابه بالقيام؛ احتراما وتشريفا وتكريما لسعد بن معاذ الصحابي الجليل وسيد الأوس. فأمرهم النبي -ﷺ- باستقباله الاستقبال المناسب الذي يستحقه سيد قوم، وذلك للترحيب به.

7- الاستحباب:

إن الحب والمحبة اشتقاقه من أحبه إذا لزمه.[67]

قد يرد فعل الأمر لغرض مجازي كالاستحباب، ومنه قوله -ﷺ-: (إذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان). [68] إذ يقول العسقلاني: (وفائدة الأمر بالتعوذ لما يخشى من شر الشيطان، وشر وسوسته).[69]

نلاحظ أن الأمر قد ورد بصيغة: "افعل"، وبما أن هذه الصيغة تدل على "التشدد في الطلب"[70] ووقعت في جواب فعل الشرط؛ فإن معنى ذلك أنه من المستحب أن يتعوذ الإنسان من الشيطان كلما سمع نهيق الحمار؛ لا على جهة الإلزام والوجوب، ولكن على سبيل الاستحباب، فهو يجنب الإنسان من شر الشيطان وشر وسوسته.

8- الإخبار:

قد تجد لفظ الأمر في معنى الخبر[71] كما في الحديث الشريف: (من تعمد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار).[72] إذ يقول العسقلاني معلقا على قوله "فليتبوأ": (أمر من التبوء، وهو اتخاذ المباءة، أي المنزل).[73]

ومعنى ذلك أن الذي يفتري على النبي -ﷺ- بالكذب متعمدا فإن الله يدخله في منزل من النار، وقد ورد الأمر بالتبوء بصيغة "فليفعل"، وأراد -ﷺ- من هذا الأمر الإخبار "بأن الله تعالى يبوؤه مقعده من النار"[74] لكي يبين للكذاب سوء العاقبة، وكذلك لمشابهة الأمر الموثوق بامتثاله بالشيء الحاصل حتى أنه يخبر به.

9- التعجيز:

"ويكون في مقام إظهار عجز من يدعي قدرته على فعل أمر ما، وليس في وسعه ذلك".[75]

وقد ورد هذا المعنى في الحديث الشريف الذي يبين ما يقال للمصورين يوم القيامة: (أحيوا ما خلقتم).[76]

إذ يقول العسقلاني معلقا على قوله "أحيوا ما خلقتم": (هو أمر تعجيز، ويستفاد منه صفة تعذيب المصور).[77]

فالمراد من الأمر هنا إظهار عجز المصورين عن الإتيان بمثل هذا الفعل؛ لأنه خارج عن قدرتهم، فهم لا يستطيعون الإحياء؛ لأن ذلك الفعل محال أن يقدر عليه أحد من البشر.

10- الشفقة والرحمة:

ويدل هذا الغرض على الرقة والعطف والرأفة.[78]

أشار العسقلاني إلى خروج الأمر إلى هذا الغرض في تعليقه على الحديث: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد).[79]

إذ يقول العسقلاني معلقا على قوله "فر من المجذوم كما تفر من الأسد" (إنما أمرهم -صلى الله عليه وسلم- بالفرار من المجذوم كما نهاهم أن يورد الممرض على المصح؛ شفقة عليهم ... فأمرهم بتجنب ذلك شفقة منه ورحمة، ليسلموا من التصديق بإثبات العدوى).[80]

نلاحظ أن الأمر الذي ورد في النص جاء لغرض إظهار الشفقة والرحمة للناس، وذلك خشية أن يصيب بعض من يخالط المجذوم نفس المرض، فيشك أن السبب في ذلك العدوى، وقد سبق وأن نفى رسول الله -ﷺ- وجود العدوى في قوله: "لا عدوى". أي: لا عدوى إلا بإذن الله.

فاستخدم فعل الأمر "في سياق صورة فنية، اتخذت التشبيه وسيلة في التعبير لما فيه من خاصية أسلوبية في ابراز المعنى وتقريبه وتقريره في أذهان المخاطبين"[81] فشبه -ﷺ- الفرار من الشخص المجذوم بالفرار من الأسد.

11- التحذير:

معنى التحذير: إلزام المخاطب الاحتراز من مكروه بإياك أو ما جرى مجراه.[82] ومنه ما ورد في الحديث الشريف قوله -ﷺ-: (إياكم والدخول على النساء...).[83]

إذ يقول العسقلاني معلقا على قوله: "إياكم والدخول": (بالنصب على التحذير، وهو تنبيه المخاطب على محذور ليحترز عنه). (84)

نلاحظ أن النبي -ﷺ- جعل صيغة التحذير "إياكم" تتصدر في كلامه، وذلك "ليلتفت السامع بكل ما يملك إلى المحذر منه، والتعجيل في هذه الصيغة مستفاد من بنائها على الإيجاز". (85) فالنبي -ﷺ- أراد من صيغة الأمر هذه تحذير الرجال من الدخول على النساء؛ لأن ذلك يعد انتهاكا لحرماتهن، وهذا أمر "غير جائز في الإسلام، فيعجل بذكر صيغة "إياكم" تحذيرا وتخويفا، مراعاة لأهمية المقام". (86)

12- التخيير:

منه ما ورد في قوله -ﷺ-: (إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين أو لقمة أو لقمتين، فإنه ولي حره وعلاجه). (87)

إذ يقول العسقلاني: (فإنه جعل الخيار إلى السيد في إجلاس الخادم معه أو تركه ... أو يكون الخيار بين أن يجلسه أو يناوله). (88)

وهنا يشير العسقلاني إلى خروج الأمر للتخيير، وأن الأمر الصادر منه -ﷺ- لم يكن على جهة الإلزام والاستعلاء، بل إنه ترك للسيد حرية الاختيار، فله أن يجلسه معه أو يعطيه من الطعام، وبذلك يكون النبي -ﷺ- قد أشار إلى قاعدة اجتماعية مهمة وهي التواضع، وعدم التكبر على الآخرين وإن كانوا عبيدا أو خدما، فضلا عن التكافل الاجتماعي والوحدة بين عناصر المجتمع المختلفة، ومساعدة القوي للضعيف، وإشاعة الحب والاحترام بين طبقات المجتمع عامة.

13- التعظيم:

من الأغراض المجازية للأمر، ويدل على كبر وقوة(89) ومنه ما ورد في الحديث الشريف: (إذا رأيتم الجنازة فقوموا، فمن تبعها فلا يقعد حتى توضع). (90)

إذ يقول العسقلاني: (فإن فيه إشارة إلى أن القيام في هذا لا يفوت بالقعود، لأن المراد به تعظيم أمر الموت... إن القيام ليس بواجب). (91)

بما أن للموت فزعا فيكون "القيام لأجل الفزع من الموت وعظمته، والجنازة تذكر ذلك فيستوي فيه جنازة المسلم والكافر".[92] وبذلك يكون الأمر بالقيام في قوله: "فقوموا" أمر خارج لغرض التعظيم، ففيه تعظيم للموت، وتعظيم لأمر الله ومشيئته.*

الهوامش (*References*)

([1])- درويش الجندي: علم المعاني (33-34).

1. *Darwyš Al-ğundī Ilm Al-mʿānī (P: 33-34).*

([2])- ابن منظور: لسان العرب، مادة (أمر) (86/5).

2. *Ibn Manẓūr: Lesān Al-Arab (5: 86).*

([3])- أبو الحسن أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م (137/1).

3. *Abū Al-ḥasan Aḥmad Bn Fāres: Muʿğam Mqāyis Al-luġhaẗ (1: 137).*

([4])- يوسف بن أبي بكر السكاكي: مفتاح العلوم (152)، الإيضاح (143/1).

4. *Yūsuf bn Abī Bakr Al-sukākī: Meftāḥ Al-Ulūm (P: 152), Al-īḍāḥ (1: 143).*

([5])- علي بن حمزة العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، القاهرة، ط دار الكتب العلمية- بيروت، 1982م (282-281/3).

5. *Alī Bn Hamzẗ Al-alwy: Al-ṭrāz Al-mutaḍmmen Leʾ Asrār Al-balāġẗ ūʿlūm Haqāʾiq Al-iʿğāz (3:281-282).*

([6])- أحمد مطلوب: البلاغة والتطبيق (124).

6. *Aḥmad Maṭlūb: Al-balāġẗ Wāltaṭbīq (P: 124).*

([7])- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، حققه عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان (415/13).

7. *Ibn Hağr Al-asqalānī: Fatḥ Al-bārī Sharḥ Saḥīḥ Al-bukẖārī (13: 415).*

([8])- المصدر نفسه (416/13).

8. *Ibid. (13: 416).*

([9])- أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، الدار التونسية، 1971م (20).

9. *Abū Al-ḥasan Alī Bn Muḥmmad Bn Alī Al-ğurğānī: Al-taʿrīfāt (P: 20).*

([10])- سورة القمر (50).

10. *Sūraẗ Al-qamar (50).*

([11])- فتح الباري (646/13).

11. *Fatḥ Al-bārī (13: 646).*

([12])- قيس إسماعيل الأوسي: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، جامعة بغداد، بيت الحكمة، 1989م (113).

12. *Qaīs Ismāʿīl Al-ʾaūsī: Asālīb Al-ṭalab enda Al-naḥweyīn Wālbalāġyin (P: 113).*

([13])- أكثبوكم: من كثب أي من قرب وتمكن، وكثب الشيء: جمعه من قرب وصبه، انظر: لسان العرب/ مادة (كثب) (222/3).

13. *Lesān Al-Arab (3: 222).*

([14])- فتح الباري (388/7-389) حديث (3984).

14. *Fatḥ Al-bārī (7: 388-389) H# (3984).*

([15])- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة-بيروت. (52/2).

15. *Al-zamakẖšharī: Al-kašhāf (2: 52).*

([16])- فتح الباري (102/11) حديث (6296).

16. *Fatḥ Al-bārī (11: 102) H# (6296).*

([17])- المصدر نفسه (213/2-214) حديث (684).

17. *Ibid. (2: 213-214) H# (684).*

([18])- ليصفح: من صفح، وقولهم يصفح عنه ، وذلك إعراضه عن ذنبه، انظر: مقاييس اللغة (293/3).

18. *Maqāyis Al-luġhaẗ (3: 293).*

([19])- فتح الباري (214/2).

19. *Fatḥ Al-bārī (2: 214).*

([20])- أبو أوس إبراهيم الشمسان: الجملة الشرطية عند النحاة العرب (211-214).

20. *Abū Aūs Ibrāhīm Al-šhamsān: Al-ğumlaẗ Al-šharṭīẗ End Al-nuḥāẗ Al-arab (P: 211-214).*

([21])- شرح ابن عقيل (237/2).

21. *Ibn ʿAqīl: šharḥ Ibn Aʿqīl(2: 237).*

([22])- فتح الباري (51/7-58) حديث (3683).

22. *Fatḥ Al-bārī (7: 51-58) H# (3683).*

([23])- المصدر نفسه.

23. *Ibid.*

([24])- المصدر نفسه (616/10).

24. *Ibid. (10: 616).*

([25])-أبو بكر ابن السراج البغدادي: الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين العتلي، مطبعة سلمان الأعظمي-بغداد، 1973م (134/2).

25. *Abū Bakr Ibn Al-sarrāğ Al-baġhdādī: Al-uṣūl Fī Al-naḥū (2: 134).*

([26])- فتح الباري (125/10-126) حديث (5639).

26. *Fatḥ Al-bārī (10: 125-126) H# (5639).*

([27])- المصدر نفسه.

27. *Ibid.*

([28])- عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط1، 1406هـ-1986م، القاهرة (372/3)، (238/6-239).

28. *Aʿbd Al-qāder Bn Uʿmar Al-baġhdādī:Kẖezānẗ Al-Adab Wa Lubbu Lubāb Lesān Al-ʿrab (3:372), (6:238-239).*

([29])- موفق الدين يعيش بن علي: شرح المفصل، عالم الكتب- بيروت. (4/45-47).

29. *Mūaffaq Al-ddīn Yaīš Bn Alī: Sharḥ Al-muṣṣal (4: 45-47).*

([30])- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة- الدار البيضاء- المغرب. (113-116).

30. *Tamām Hassān: Al-luġaẗ Al-arabīẗ Mʿnāhā Wa Mabnāhā (P: 113-116).*

([31])- فتح الباري (355/11-359) حديث (6463).

31. *Fatḥ Al-bārī (11: 355-359) H# (6463).*

([32])- المصدر نفسه.

32. *Ibid.*

([33])- ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، حققه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط2، منشورات دار الرفاعي- الرياض (301/2-302).

33. *Dhīaʾ Al-ddīn Ibn Al-āṯhīr: Al-maṯhal Al-ssāʾir Fī Adab Al-kātib wālšhāʿr (2: 301-302).*

([34])- فتح الباري (416/13).

34. *Fatḥ Al-bārī (13: 416).*

([35])- المصدر نفسه (68/11-71) حديث (6266).

35. *Ibid. (11:68-71) H# (6266).*

([36])- المصدر نفسه.

36. *Ibid.*

([37])- جمال الدين محمد بن مالك الأندلسي: المصباح في علم المعاني، المطبعة الخيرية- القاهرة، 1911م (45)، عقود الجمان (60).

37. *Jamāl Al-ddīn Muḥmmad Bn Mālik Al-āndalusī: Al-meṣbāḥ Fī Elm Al-mʿānī (P: 45), Uqūd Al-ğumān (P: 60).*

([38])- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية- بيروت، 1973م (11/2) معترك الأقران (335/1).

38. *Jalāl Al-ddīn Abd Al-raḥman Al-ssīūṭī: Al-itqān Fī Ulūm Al-qurʾān (2:11), Muʿtark Al-ʾaqrān (1: 335).*

([39])- الإيضاح (85).

39. *Al-īḍāḥ (P: 85).*

([40])- فتح الباري (343/10) حديث (5823) .

40. *Fatḥ Al-bārī (10: 343) H# (5823).*

([41])- المصدر نفسه (344/10).

41. *Ibid. (10: 344).*

([42])- عبد الفتاح لاشين: المعاني في ضوء أساليب القرآن، ط4، 1983م (167).

42. *ʿbd al-ftāḥ lāšīn: al-mʿānī fī ḍūʾ asālīb al-qrʾān (P: 167).*

([43])- فتح الباري (131/6) حديث (2932).

43. *Fatḥ Al-bārī (6: 131) H# (2932).*

([44])- المصدر نفسه (132/6).

44. *Ibid. (6: 132).*

([45])- الشريف الرضي: المجازات النبوية، تحقيق وشرح طه محمد الزيني، القاهرة، 1967م (63).

45. *Al-šharīf Al-rraḍī: Al-mağāzāt Al-nnabawyaï (P: 63).*

([46])- مقاييس اللغة (398/2).

46. *Maqāyis Al-luġaï (2: 398).*

([47])- فتح الباري (306/10) حديث (5782).

47. *Fatḥ Al-bārī (10: 306) H# (5782).*

([48])- المصدر نفسه (307/10).

48. *Ibid. (10: 307).*

([49])- شرح المفصل (4/9).

49. *Sharḥ Al-mufṣsal (9:4).*

([50])- أحمد مطلوب: البلاغة والتطبيق (125).

50. *Aḥmad Maṭlūb: Al-balāġaï Wāltaṭbīq (P: 125).*

([51])- مقاييس اللغة (29/2).

51. *Maqāyis Al-luġhaï (2: 29).*

([52])- فتح الباري (41/6) حديث (2818).

52. *Fatḥ Al-bārī (6: 41) H# (2818).*

([53])- المصدر نفسه.

53. *Ibid.*

([54])- خليل أحمد عمايرة: في التحليل اللغوي، مكتبة المنار- الأردن، ط1، 1987م (217).

54. *Kẖalīl Aḥmad Amāīraï: Fī Al-taḥlīl Al-luġhawy (p: 217).*

([55])- فتح الباري (214/13-215) حديث (7181).

55. *Fatḥ Al-bārī (13: 214-215) H# (7181).*

([56])- المصدر نفسه.

56. *Ibid.*

([57])- هناء محمود شهاب: أساليب الطلب في الحديث الشريف دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري، أطروحة دكتوراه (60).

57. *Hanāʾ Maḥmūd šhehāb: Asālīb Al-ṭalab Fī Al-ḥadīṯh Al-šharīf Derāsaï Balāġhīï Fī Matn Saḥīḥ Al-bukẖārī (P: 60).*

([58])- مقاييس اللغة (47/3).

58. *Maqāyis Al-luġhaï (3: 47).*

([59])- فتح الباري (683/3-686) حديث (1689).

59. *Fatḥ Al-bārī (3: 683-686) H# (1689).*

([60])- المصدر نفسه.

60. *Ibid.*

([61])- جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، ط2 (85/4).

61. *Jār Al-lh maḥmūd Bn Umar Al-zamkẖšrī: Al-fāʾiq Fī ġharīb Al-ḥadīṯh (4: 85).*

([62])- مقاييس اللغة (263/3).

62. *Maqāyis Al-luġhaï (3: 263).*

([63])- فتح الباري (387/7) حديث (3983).

63. *Fatḥ Al-bārī (7: 387) H# (3983).*

(64)- المصدر نفسه (388/7).

64. *Ibid. (7: 388).*

(65)- المصدر نفسه (58/11-61) حديث (6262).

65. *Ibid. (11: 58-61) H# (6262).*

(66)- المصدر نفسه.

66. *Ibid.*

(67)- مقاييس اللغة (26/2).

67. *Maqāyis Al-luġhaï (2:26).*

(68)- فتح الباري (433/6-435) حديث (3303).

68. *Fatḥ Al-bārī (6:433-435) H# (3303).*

(69)- المصدر نفسه.

69. *Ibid.*

(70)- إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، القاهرة، 1959م (86-107).

70. *Ibrāhīm Muṣṭafa: Iḥīāʾ Al-nnaḥū: (86-107).*

(71)- جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر، ط2، 1359هـ، دائرة المعارف العثمانية (64/1).

71. *Jalāl Al-ddīn Abd Al-raḥman Al-ssīūṭī: Al-ʾašhbāh Wālnaẓāʾir (1: 64).*

(72)- فتح الباري (268/1).

72. *Fatḥ Al-bārī (1: 268).*

(73)- المصدر نفسه (270/1).

73. *Ibid. (1: 270).*

(74)- بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مصر (151/2).

74. *Badr Al-ddīn Abū Muḥmmad maḥmūd Bn Aḥmad Al-Aīnī: Umdaï Al-qārī Sharḥ Saḥīḥ Al-bukẖārī (2: 151).*

(75)- المعاني في ضوء أساليب القرآن (168-169).

75. *Al-mʿānī Fī Dūʾ Asālīb Al-qurʾān (168-169).*

(76)- فتح الباري (10/ 468-470) حديث (5951).

76. *Fatḥ Al-bārī (10: 468-470) H# (5951).*

(77)- المصدر نفسه.

77. *Ibid.*

(78)- مقاييس اللغة (498/3).

78. *Maqāyis Al-luġhaï (3: 498).*

(79)- فتح الباري (195/10) حديث (5707).

79. *Fatḥ Al-bārī (10: 195) H# (5707).*

(80)- المصدر نفسه (200/10).

80. *Ibid. (10: 200).*

(81)- أساليب الطلب في الحديث الشريف (28).

81. *Asālīb Al-ṭalab Fī Al-ḥadīṯh Al-šharīf (P: 28).*

(82)- ابن الحاجب رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي: شرح الكافية الشافية في النحو، دار الكتب العلمية –بيروت (137/3)، زاهدة عبد الله العبيدي: الحدود النحوية من النشأة إلى الاستقرار دراسة ومعجم، أطروحة دكتوراه (148-149).

82. *Ibn Al-ḥāğeb Raḍī Al-ddīn Muḥammad Bn Al-ḥasan Al-āstrābāḏhī: Sharḥ Al-kāfīï Al-šhāfīï Fī Al-naḥū (3: 137), Zāhedaï Abd Al-lh Al-ubaīdī: Al-ḥudūd Al-naḥwyï Mn Al-našhʾaï Ili Al-isteqrār derāsï ūmʿğm (P: 148-149).*

(83)- فتح الباري (413/9-414) حديث (5232).

83. *Fatḥ Al-bārī (9: 413-414) H# (5232).*

(84)- المصدر نفسه (414/9).

84. *Ibid. (9:414).*

(85)- عز الدين السيد: الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية (158).

85. *Ezz Al-ddīn Al-ssīd: Al-ḥadīṯh Al-nabawy Al-šarīf Men Al-ūğhaï Al-balāğhīï (P: 158).*

([86])- أساليب الطلب في الحديث الشريف (45).

86. *Asālīb Al-ṭalab Fī Al-ḥadīṯh Al-šharīf (P: 45).*

([87])- فتح الباري (9/725-726) حديث (5460).

87. *Fatḥ Al-bārī (9:725-726) H# (5460).*

([88])- المصدر نفسه (9/726).

88. *Ibid. (9: 726).*

([89])- مقاييس اللغة (4/355).

89. *Maqāyis Al-luġhaï (4: 355).*

([90])- فتح الباري (3/230) حديث (1310).

90. *Fatḥ Al-bārī (3: 230) H# (1310).*

([91])- المصدر نفسه.

91. *Ibid.*

([92])- المصدر نفسه.

92. *Ibid.*

* للمزيد من الأمثلة عن أسلوب الأمر عند العسقلاني ينظر: "فتح الباري": (1/ 561، 583، 644)؛ (2/ 218، 268، 337)، (3/ 430، 500، 646، 783)، (4/ 128)؛ (5/ 34، 47، 238، 397، 489، 501)؛ (6/ 81، 271، 649)؛ (7/ 59، 82)؛ (8/ 90، 627، 838، 978)؛ (9/ 757، 830، 870)؛ (10/ 418، 573، 746)؛ (11/ 618، 638).